اشكالية «التفوّق» في الاستراتيجية الاسرائيلية

يهوشفاط هركابي (وآخرون)، **الكميّة والنوعيّة في الاستراتيجية الاسرائيلية** (مترجم)، جزآن، نيقوسيا: وكالة المنار للصحافة والنشر، الجزء الأول، ١٩٨٦، الجزء الثاني، ١٩٨٧.

ما هي الطريقة الاكثر ملاءمة لصوغ اشكالية العلاقة بين «الكميّة» و«النوعية» بالنسبة الى دولة صغيرة تعاني نقصاً من الناحية الكميّة، قياساً باعدائها ؟ هذا السؤال يمكن اعتباره ملائماً، كمدخل لفهم مصدر التوتر في النقاش الاسرائيلي ـ في اطار الفكر الامني العسكري ـ بصدد اشكالية الكمية والنوعية في نظرية بناء القوة الاسرائيليـة؛ وان كان لا يشكل تساؤلاً كافياً للاحاطة بالعوامل والمصادر الاخرى التي تغذّي هذا التوتر في النقاش السائد، بصورة حادة وملموسة، منذ العام ١٩٧٣ على الأقل.

ان استقراء نتائج الحروب الماضية بين اسرائيل والدول العربية يظهر ان اسرائيل استطاعت ان تكسب في هذه الحروب، في ظل انتفاء التجانس الكمّي لصالح الدول العربية بنسبة ١ : ٣ و ١ : ٤ احياناً، الامر الذي اعطى مصداقية للفرضية الاسرائيلية التي شكّلت المحور الاساسي في نظرية بناء القوة الاسرائيلية، القائلة ان احراز التفوق في النوعية يكفي لسد الثغرة القائمة في نقص الكمية، باعتبار انه لا يوجد هناك خيار آخر في صراع «القلّة» في مواجهة «الكثرة»، كما هو الحال، بالنسبة الى اسرائيل، الاّ عبر خيار التفوق في «النوعية»، كبديل للتعويض عن تفوق الكمية التي يتمتع بها العرب.

غير ان هذا النجاح ـ اذا استعرنا تعبير مئير باعيل ـ الذي احرزته اسرائيل في كسب «النقاط» ضد العرب، خلال الحروب الماضية، وأدى الى احاطة هذه الفرضية بهالة من التقديس في الاوساط العسكرية الاسرائيلية، والسياسية، على حد سواء، بدأت تثار حوله، في السنوات الاخيرة، اسئلة وشكوك عديدة، لا سيما في أعقاب حرب تشرين الاول (اكتـوبـر) ١٩٧٣، التي أدّت الى اهتزاز هذه النظرية، بصورة غير مباشرة، نتيجة للمحصلة السياسية لهذه الحروب، في ما يتعلق بغياب القدرة على تحقيق السلام.

لقد اسهم الفشل في تحقيق السلام في جعل العديد من المفكرين الاسرائيليين يتبنّون موقفاً أكثر تشاؤماً إزاء قدرة اسرائيل على احتمال البقاء كمجتمع، في حال حرب استنزاف متواصلة، والاستمرار، في الوقت عينه، في الاحتفاظ بتفوقها في النوعية. فقد بيّنت حرب العام ١٩٧٣ ان خيار النوعية لن يبقى، بعد الآن، خياراً تحتكره اسرائيل وحدها؛ بل ان الدول العربية يمكن لها، وتستطيع، ان تجاري اسرائيل في هذا المجال، اضافة الى امتلاك هذه الجيوش تفوقاً في الكمية يستحيل على اسرائيل ان تجاريها فيه.

وعلى الرغم من ان حرب العام ١٩٧٣ لم تؤد الى هزيمة الجيش الاسرائيلي، فانها خلقت احساساً عاماً، في اوساط النخبة العسكرية الاسرائيلية، بأن الزمن لم يعد يعمل لصالح التفوق النوعي فقط، كرهان وحيد الجانب، لتحقيق الانتصـار في الحـروب المقبلة، وانمـا هناك حاجة الى تحقيق قدر أكبر من التوازن في معادلة توزيع الاستثمار في الكمية والنوعية. وقد كان ذلك هو الدلالة الوحيدة للمجهود العسكري المكثّف الذي بذل في أعقاب الحرب، خلال السنوات الممتدة حتى أواخر السبعينات، حيث تمّ احداث التوسع في حجم الجيش، على الصعيد النـوعي، والكمي، على حد سواء. وقـد شمـل هذا البرنامج تلبية متطلبات ضخمة في مجال تحديث وامتلاك